تبرج النساء

في العصور السالفة

شكت احدى السيدات الفرنسيات إلى الكاتب الكبير « المسيو أدوارد دي كيزر » أمر ابنتها وتبرجها وتزينها وهي لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها واستطامت رأيه في ذلك . فأجابها على ذلك في احدى المجلات النسوية الباريسية الكبرى بمقال ممتع آثرنا أن نزفه إلى قارئات مجلتنا الاخاء ملخصاً وهو :

نعم انني موافق على رأيك الذي أبديته في كتابك الذي بعثت به إلي تقولين فيه أن ابنتك في الربيع السادس عشر من حياتها وانك فاجأتها وهي تدهن خدودها الرطبة الندية بالمسحوق . والانكى من ذلك انها أخفت عنك عند مباغتتك اياها القلم الأحمر الذي أهدتها اياه صديقة لها

وقد تبينت السبب الذي استفزك للغضب لأن تلوين الوجه عدو للتواضع والفضيلة ومناف لها . وقد طلبت إلي أن أحمل في هذه المجلة على جميع هذه المواد الصناعية من المساحيق وألوان الصباغة . واني لعليم كيف أن الفضيلة ثمينة ولذلك فاني أجيب سؤلك بارتياح فأقول :

ان ابنتك على خطأ مبين فبشرتها رقيقة بديعة الهيئة وهي باخفائها تحت المسحوق تكون قد أخفت عناجمالها الطبيعي الفتان. وشفتاها رقيقتان مشربتان باللون الارجواني الطبيعي فاخفاء هذا اللون بطبقة رقيقة من اللون الصناعي الاحمر لا يجعل لها بهجة ويجعلها في النظر عثابة العلبة الساقطة

ومع هذا أفلا ترين يا سيدتي أن المسحوق للنساء ما خلا ابنتك انما هو أمر ضروري ؟ . . .

لقد عرفت سيدة تنفر كل النفور من المسحوق الملون وهي تطلق عليه اسم « مسحوق التجعد والتغضن » وهي تذهب إلى أن عادة تلوين الوجه منافية للطبيعة وللآداب وتقول بأن الكف عن استعماله كان من نتائجه أنها حفظت نضرة بشرتها وروعتها ومع هذا فان لون هذه السيدة كان ممتقعاً خشناً بالرغم عما أبدته من هذا الرأي .

أقول لك يا سيدتي أن كريمتك قد أجرمت اجراماً كبيراً واجترحت اثماً عظيماً. ولكن يجب علينا أن نعتبر « أن وراءها أربعين قرناً للتزين والتبرج تنظر اليها » (١)

وهذا أمر صحيح ياسيدتي وما علينا إلا أن نقلب صحف التاريخ . فدعينا قليلا نفتش بين ثناياها وبين الكتابات الهزلية ورسائل قاموسة الكنائس، وما علينا إلا أن نفعل هذا حتى ندل على أن التزين والتبرج يرجع عهدهما إلى ماقبل أن يخلق الحب نفسه . ورجائي في أن لا تتطلبي مني أن اسرد تاريخ أقص عليك متتابعاً توالي التواريخ بدقة اذ ربما توقفنا الصدفة على ما تريد وكوني على يقين من أن ما سأرويه لا يبرر عمل ابنتك ولا يجعل لها ظروفاً مخففة فهي تستأهل العقاب بتناول الغذاء من الخبز الجاف ومن مرارة العجل .

ولنبحث الآن خلال الاجيال .فقد تكلم ترتوليان عن تزجيج الحواجب وبيير بنيس عن التلوين فقد كانت هذه المواد معروفة والحالة هذه منذ القدم . ولعلك قرأت في « أتالي » ما حكم به حكماء فاسيا على جيزابل اذ قال : « أن لها روعة مصطنعة مقترضة اذ عنيت بتزين وجهها حتى تصلح منه ما أفسدته السنون . . .

---

(١) هذه هي الكلمة التي قالها نابليون لجنوده وهو واقف على قمة الاهرام. ان اربعين قرناً تنظر اليكم

وكانت اليونانيات قديماً يزججن الحواجب والعيون بمسحوق أسود ونصحت أبولونيد بوجوب تلوين الوجه والصدر بمسحوق أحمر

وكنّ في رومية يخلطن تراب الارض والطباشير بالخل فيتألف منها مزيج يطلين به وجوههن . ولكن هذه العملية كانت قاسية لأن الحرارة اذا اشتدت حلت هذه الطبقة من اللون وهي على الوجه فتزول البهجة

وقد كانوا يستعملون من جهة أخرى النعنع للأذرع وزيت النخيل للوجنات والمرجولين للشعر والاهداب وعصير شجر آخر للعنق ومادة غيرها لترطيب البشرة

ثم أن زوجة نيرون تلك المرأة المشهورة بكتمان سر تزينها وتجملها قد عرف هذا السر فيما بعد وقد كان يكلفها ثمناً باهظاً وهو انها كانت تخلط دقيق الشعير بالعسل وتمزج الصنفين بلبن الأتان (الحمارة) وكانت اذا سافرت تأخذ معها عدداً كبيراً من نوع الأتان

ويسرني يا سيدتي أن ابنتك سليمة من الغش الذي يصيب الوجه فتستعمل له زيت عصير خاص لهذا المرض الجلدي وكذلك يسرني أنها لا تستعمل العطور التي من خاصيتها ازالته .

وكانت النساء الرومانيات يفتخرن بأن لديهن نوعاً من « الكزماتيك » يقوي أجسامهن ويزيدهن سمناً . أما اللون الاحمر فقد كانوا يتخذونه من تراب ساموس ممزوجاً بمادة حمراء وكان يلزم لاعداد كل معدات الزينة والتبرج غرفة خاصة بالأدوات والمعدات أكثر وأوسع من غرفة ابنتك يا سيدتي وقد وصفها لنا بولوا ذ يقول : لقد كان في تلك الغرفة المقصات والموسى والملاقط وكاحتات الاظفار وفرش الاسنان والاظافر وآلات لكي الشعر وتنسيقه وتصفيفه وصابون خاص يجعلن به لون الشعر أحمر أو أصفر وعجينة الترطيب

والروائح السكرموتيكية والاعطار والروائح الطبيعية أو المركبة والقطع التي يزين بها الشعر اذ يلفتنه حولها والخصلات والقطع التي تجلل الرأس وتجعل شعره مرتفعاً والاسنان الصناعية والاربطة الجلدية التي يسوين بها ما اعتور من الجسم من قطع غليظة وحجر لتجميل العنق وادهان أخرى مرطبة للجلد وغير ذلك

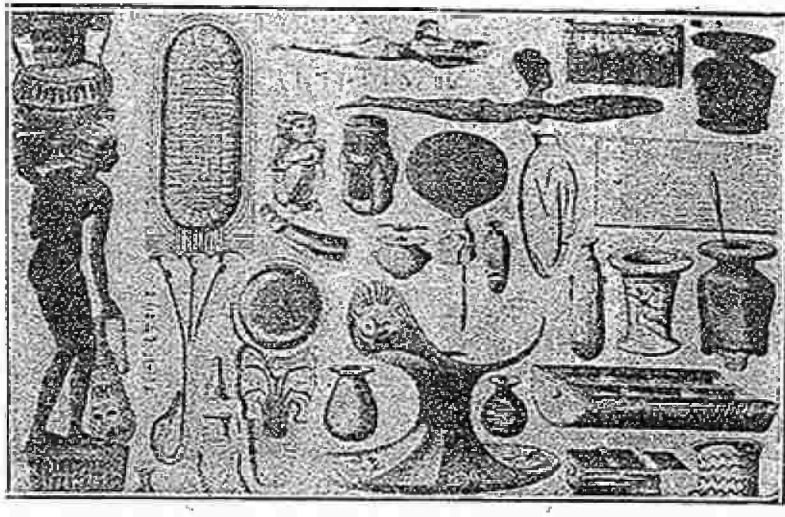

غرفة التزيين فى عهد الفراعنة

أليس هذا شيئاً كثيراً يا سيدتي ؟ ولكن لا يفوتك أن التزين ومواده كانت معروفة في عهد الرومانيين واليونانيين فانك اذا فتحت كتاب فيدا (الكتاب المقدس في الهند) تجدين النساء في تلك العصور كنّ يجملن صدورهن بسائل العصفر وقد جاء في وصايا هذا الكتاب: الكف عن تناول واستعمال الادهان واللحوم والمشروبات الروحية والازاهير والروائح العطرية والقطرة

اما التجمل والتبرج في فرنسا فقد جاءت به يا سيدتي كاترين دي ميدسيس

من ايطاليا ولكن أمره كان غريباً فاللون الابيض كان يتركب من كربونات الرصاص محلول بريق فتاة صغيرة . أما اللون الاحمر المعدني فكان يتركب من الرصاص ممزوجاً ببول فتى يافع والاحمر النباتي كان يستخرج من عصير بعض النباتات

والا اخالك يا سيدتي الا ذاكرة ذلك المسحوق العصري الذي كانوا يستعملونه لصبغ الشعر في عهد هنري الرابع وكذلك مزيج شجرة البلوط بدقيق الفول الذي أطلقوا عليه اسم « مسحوق قيرص »

وقد شاع استعمال تلوين الوجه في عهد لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر حتى لقد تغير الوجه عن طبيعته كأنه تحت قناع آخر ومما يذكر ان مازارين طلب قبل وفاته ان توضع على وجهه الالوان حتى يكون معروفاً لمن عرفوه

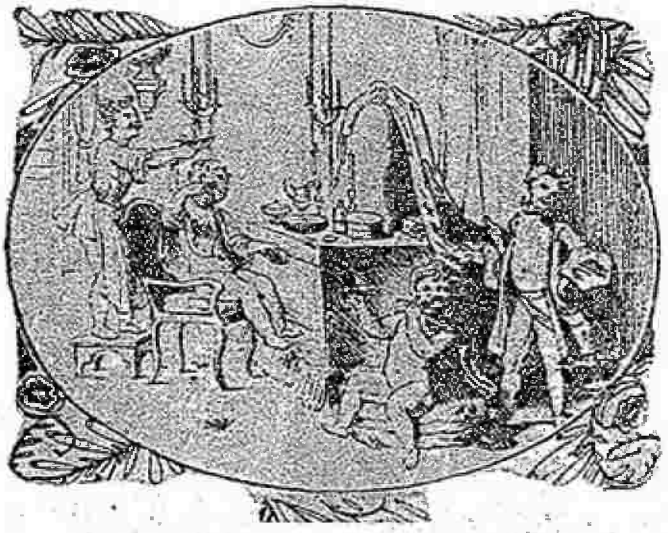

صورة تمثل الانهماك بالتزين مأخوذة من المكتبة الوطنية في باريس

وقد أخذت النساء في ذلك العهد يلصقن بوجناتهن (خالا) صناعياً وكانت هذه البدعة قد نسيت من عهد فرنسوا الثاني حتى لقد كانت كل سيدة تضع في كيس يدها علبة من هذه (الخالات) وكانت ذات ألوان مختلفة متعددة

ولكل لون وقطعة سكن معين بالوجه كأن تكون قريبة من الانف أو على الوجنة أو عند الفم وكن يستعن بها على اخفاء شيء من البثور البادية في وجوههن.

وعندي أنه يجب على المرأة ما خلا ابتذك ان تتزين أفليس من حقها أن تبدي لنا جمالها. فلتستعمل المساحيق والادهان الجيدة ولكن باعتدال وحذر

علامة الحال الصناعية في عهد لويس الخامس عشر من رسم بوشيه

السيدة في غرفة التواليت في القرن الثامن عشر

« الاخلاء »

ان المليحة من كانت محاسنها ... من صنعة الله لا من صنعة البشر